

قصة سفينة البحر

حديث النعمان بن بشير في الصحيح . البخاري . والذي قال فيه النبي _صلى الله عليه وسلم_: "مثل المداهن في حدود الله والواقع فيها مثل قوم استهموا سفينة، فصار بعضهم في أسفلها، و صار بعضهم في أعلاها، فكان الذي في أسفلها يمرّون بالماء على الذين في أعلاها، فتأذوا به، فأخذ فأساً فجعل ينقر أسفل السفينة، فأتوه فقالوا: ما لك! قال: تأذيتم بي ولا بد لي من الماء! فإن أخذوا على يديه أنجوه ونجوا أنفسهم وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم"

هذا مثل عظيم يُشبه فيه الرسول _صلى الله عليه وسلم_ حال الناس وموقفهم مما يكون في المجتمع من منكرات بحال قوم ركبوا سفينة فافتسموا أماكنهم فيها بطريق القرعة، فكان من نصيب بعضهم الجزء الأعلى من السفينة، وكان من نصيب الآخرين الجزء الأسفل منها، وكان لابد لأهل السفلى من الماء، فكانوا يصعدون لأعلى السفينة ليستقوا الماء، ولما كان ممرهم على أهل العلو فقد تأذوا بهم؛ إذ ربما أصابهم شيء من رشاش الماء أو أقلقوا وقت راحتهم أو غير ذلك، فلما رأى أهل السفلى تأذي أهل العلو بهم عزموا على أن ينقبوا في نصيبهم نقباً يحصلون منه على الماء دون الحاجة إلى إيذاء من فوقهم، ولم يدر هؤلاء أن هذا الخرق الصغير سيؤدي إن ترك إلى هلاك الجميع ويكون معنى (أصغر خرق) هو - كما قال مصطفى صادق الرافعي - أوسع قبر. [وحي القلم: ٨/٣].

ويبين الرسول الكريم _صلى الله عليه وسلم_ أن الأمر لا يخلو حينئذ من إحدى نتيجتين: إما أن يقوم أهل العلو بواجبهم في منع هذه الكارثة فينجو الجميع؛ وإما أن يتركوهم وشأنهم بدعوى أن هذا نصيبهم يفعلون فيه ما يشاءون، وحينئذ تكون النتيجة الحتمية هي هلاك الجميع.

والحديث الشريف يبين أنه هكذا تكون حال الناس في المجتمع فإنه لا يخلو مجتمع من بعض صور المنكر والفساد التي يقدم عليها ضعاف الإيمان، وقد يلتمس بعضهم لنفسه مبرراً في ما

يفعل كأن يقول هذه حرية شخصية، وأنا حر أصنع في ملكي ما أشاء، فإن قام أهل الرشد بواجبهم في إنكار هذه المنكرات والأخذ على أيدي الظالمين صلح المجتمع ونجا الجميع من غضب الله عز وجل، وأما إن تقاعسوا عن هذا الواجب وغلبت كلمة المداهنيين فإن العقوبة الإلهية تعم الجميع، وتلك سنة إلهية لا تتغير، قال الحافظ: "وهكذا إقامة الحدود يحصل بها النجاة لمن أقامها وأقيمت عليه، وإلا هلك العاصي بالمعصية والساكت بالرضا بها" [فتح الباري: ٥ / ٢٩٦]، ومصدق ذلك قوله تعالى: ((واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب)) [الأنفال: ٢٥]، وقوله _ صلى الله عليه وسلم _ : "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب"

عواقب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

أولاً : أنه سبب لانتشار المنكرات وفشوها في المجتمع

روى البخاري ومسلم عن زينب بنت جحش رضي الله عنها : ((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَيْقِظَ يَوْمًا مِنْ نَوْمِهِ فَرَجَعًا وَهُوَ يَقُولُ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ، فَتَحَّ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمٍ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مِثْلَ هَذَا (وَحَلَّقَ بَيْنَ أَصْبَعِيهِ السَّبَابَةَ وَالْإِبْهَامَ) . فَقَالَتْ لَهُ زَيْنَبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَنْهَكَ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ)) .
فكيف يكثر الخبث !؟

إنَّ المنكر إذا أُعلن في مجتمع، ولم يجد مَنْ يقف في وجهه؛ فإن سوقه تقوم، وعوده يشتد، وسلطته تظهر، ورواقه يمتد .

ثانياً : العذاب الإلهي العام والهلاك الشامل :

يقول الله تعالى : ((وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَدِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُوتُونَ . فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ . فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهِوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ)) (الأعراف: ١٦٤ - ١٦٦) .

ويقول الله تعالى : ((فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ)) (هود: ١١٦) .

وأخرج أبو داود من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((ما من رجلٍ يكون في قومٍ يعمل فيهم بالمعاصي يقدر أن يغيروا عليه فلم يغيروا إلا أصابهم الله بعقابٍ قبل أن يموتوا)) .

ثالثاً : الاختلاف والتناحر:

إنَّ مما يدلُّ على ارتباط التفرُّق والتناحر بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أَنَّ الله عزَّ وجلَّ قال: ((وَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) (آل عمران: ١٠٤) .

ثم قال بعد ذلك مباشرة: ((وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ)) (آل عمران: ١٠٥) .

وروى أبو داود والترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم ليلعنكم كما لعنهم يعني بني إسرائيل)) .

رابعاً : تسليط الأعداء:

فإن الله جلَّ وعلا قد يبتلي المجتمع التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأن يسلِّط عليهم عدواً خارجياً، فيؤذيهم، ويستبيح بيضتهم، وقد يأخذ بعض ما في أيديهم، وقد يتحكَّم في رقابهم وأموالهم. عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يا معشر المهاجرين خمس خصال إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن ..ولم يفضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله وسخروا وبما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم)) .

والتاريخ حافل بشواهد على ذلك ، انظر للمسلمين في الأندلس كيف تحولت عزتهم وقوتهم ومنعتهم لما شاعت بينهم المنكرات بلا نكير إلى ذل وهوان سامهم إياهم النصارى حتى بيع سادة المسلمين آنذاك في أسواق الرقيق وهم يبكون كما قال الشاعر :

فلو رأيت بكاهم عند بيعهم *** لهالك الوجد واستهوتك أحزانُ

خامساً :عدم إجابة الدعاء:

روى الترمذي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((والذي نفسي بيده ، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم)) .

سادساً : ظهور الجهل واندراس العلم واختفاء معالم الدين :

فيكون الدين غريباً ، وذلك أن المنكر إذا ظهر فلم يُنكر نشأ عليه الصغير وألفه الكبير ، وظنوه مع مرور الزمن من الحق .

عندها ينكرُ على الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ويعظم الساكت .
قال الإمام أحمد : يأتي على الناس زمانٌ يكون المؤمن فيه بينهم مثل الجيفة ، ويكون المنافق يُشار إليه بالأصابع .

قيل يا أبا عبد الله : وكيف يُشار إلى المنافق بالأصابع ؟ فقال : صيروا أمر الله فضولاً . وقال : المؤمن إذا رأى أمراً بالمعروف أو نهياً عن المنكر لم يصبر حتى يأمر وينهى ، يعني قالوا في هذا فضول ، والمنافق كل شيء يراه قال بيده على فمه ، فقالوا : نعم الرجل ، ليس بينه وبين الفضول عمل .

سابعاً: قلة الخيرات وذهاب البركات في الأرض

وذلك أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب من أسباب انتشار المعاصي والموبقات والتي هي سبب في ذهاب البركات والخيرات ، يقول الله تعالى : ((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْفُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ))..

ثامناً : انتشار الأمراض وقلة الأمطار وحلول الجذب في الأرض :

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يا معشر المهاجرين خمس خصال إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركون لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلبوا أنفسهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم وما لم تحك أئمتهم بكتاب الله وسخروا وبما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم)) .

تاسعاً : قسوة القلوب

جاء في الحديث الصحيح ((تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأبي قلبٍ أشربها نكتت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تصير القلوب على قلبين : على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض ، والآخر أسود مرباد كالكوز مُجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه)) أه .

عاشرأً : حلول اللعنة على المجتمع

قال تعالى : ((لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ. كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرِ فَعْلُوهُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)) (المائدة: ٧٨-٧٩).

الحادي عشر : الذلة والهوان

قال بعض السلف " من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مخافة المخلوقين نزعت منه الطاعة ، فلو أمر ولده أو بعض مواليه لاستخف بحقه ، فكما هان عليه أمر الله أهانه الله وأذله ((نسو الله فنيهم)). [حمد بن عتيق / الدرر السنية ج ٨ ص ٧٦]

الثاني عشر : التعرض لسؤال الله تعالى :

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا يحقر أحدكم نفسه قالوا : يا رسول الله ، كيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال " يرى أمراً لله عليه فيه مقال ثم لا يقول فيه فيقول الله عز وجل له يوم القيامة ما منعك أن تقول في كذا وكذا ، فيقول : خشية الناس ، فيقول : فإياي كنت أحق أن تخشى)) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إن الله تبارك وتعالى ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول : ما منعك إذا رأيت المنكر تتكره ؟ فإذا لقن الله عبداً حجته قال : يا رب ، وثقت بك وفرقت من الناس)) .

الثالث عشر : وعيد تاركه بأنه ليس من المؤمنين :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر)) رواه الترمذي (١٩٢٤)

الرابع عشر : زوال وصف الخيرية عن هذه الأمة

لأن الله علق هذه الخيرية بالقيام بهذه الشعيرة فإذا لم نقم بها زال الوصف عنها ، قال تعالى : ((كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)) (آل عمران: من الآية ١١٠) .

مجالات الاحتساب

* الاحتساب على النفس :

فالإنسان عنده تقصير في بعض الجوانب الشرعية سواء كانت واجبات أو محرمات فيفعل الواجب ، ويجتنب الحرام .

* الاحتساب على الأسرة :

والأسرة تتكون من والدين وأخوة وأخوات وزوج وأبناء وأعمام وعمات وأخوال وخالات وكذا أيضا زوجات الأخوة وزوجات الأعمام والأخوال وبناتهم وغيرهن اللاتي يعتبرن من الأسرة سواء كانت الأسرة الصغيرة أو الأسرة الكبيرة .

* الاحتساب في المناسبات والولائم واللقاءات :

كأن تكون المناسبة فرحاً أو مناسبة عامة أو لقاءً أسرياً أو دعوة للقهوة والشاي مع الجيران وسواء كان هذا اللقاء في المنزل أو في قصر أفراح أو في فندق أو استراحة أو نحوها .

* الاحتساب في الأسواق :

فالرجال في الأسواق المفتوحة والنساء في الأسواق المغلقة ..ويكون الاحتساب على الزائرين والزائرات للسوق وعلى العاملين و العاملات فيه وعلى إدارة السوق سواء كانت رجالية أو نسائية وتعديل ما يحتاج إلى تعديله وتغييره ليكون السوق محافظاً ومناسباً .

* الاحتساب في الأماكن الترفيهية العامة والمغلقة للنساء :

وكما قلنا في الاحتساب في الأسواق يقال هنا .

* الاحتساب في الصحف والمجلات:

من خلال الدفاع عن القضايا الشرعية والطرح الجديد وتبني المشاريع المهمة للمجتمع .

* الاحتساب في المدارس والجامعات وما يتعلق بهن من إدارات سواء كانت رجالية أو نسائية .

الاحتساب للعاملين في هذه القطاعات وللزائرين أيضا .

* الاحتساب في المستشفيات والمستوصفات :

الاحتساب للعاملين في هذه القطاعات وللزائرين أيضا .

* الاحتساب على الأصدقاء والصدقات :

* الاحتساب في شبكة الإنترنت :

من خلال المناقشات والحوارات والردود العلمية مع الحذر الشديد والتقيد بالضوابط الشرعية في مثل هذا النمط من العمل حتى لا تزل بالإنسان القدم .

- الاحتساب في المطارات .
- الاحتساب في المساجد ..كالجالات والإسبال ورائحة الدخان ..
- الاحتساب على الجيران .

وسائل تفعيل الاحتساب في البلد

- ١- كثرة الحديث عن الاحتساب في المجالس وبيان أهميته في المجتمع والضرر البالغ من جراء إهماله وتركه .
- ٢- أن يخصص الخطيب خطبة شهرية عن موضوع الاحتساب وأهميته للمجتمع ؛ وينوع الخطيب في الحديث عن الموضوع فمرة يتحدث عن فضله ،ومرة يتكلم عن أضرار تركه ، وأخرى يتحدث عن شخصية بارزة في الاحتساب ، وهكذا حتى يؤصل هذا الموضوع في نفوس الناس.
- ٣- إلقاء الكلمات في المساجد عن موضوع الاحتساب .
- ٤- توزيع الأشرطة التي تتحدث عن هذا الموضوع.
- ٥- توزيع المطويات والكتب التي تتحدث عن هذا الموضوع .
- ٦- زيارة العلماء وطلبة العلم وحثهم للنزول للميدان .
- ٧- تنسيق الدورات التدريبية في كيفية الاحتساب فهي مفيدة جداً للشباب.
- ٨- عقد المحاضرات التربوية في موضوع الاحتساب في المساجد، ومن تلك الموضوعات مثلاً:

- * أهمية الاحتساب في الأمة .
 - * عواقب ترك الاحتساب في الأمة .
 - * وسائل الاحتساب وأساليبه .
 - * مواقف العلماء في الحسبة .
 - * ضوابط الاحتساب .
 - * حكم الاحتساب وطرقه .
 - * صفات المحتسب وشروطه .
 - * وغيرها من الموضوعات المهمة .
- ٩- نزول العلماء وطلاب العلم المعروفين للأسواق ولو في الشهر مرة ليتعلم الشباب منهم كيفية الاحتساب في الأسواق والأماكن السياحية .

- ١٠- إقامة كشك في الأسواق والأماكن العامة لتوزيع الشريط والكتاب الإسلامي واقترح أن يتولى هذا الأمر مكاتب الدعوة أو المندوبيات في الأحياء .
- ١١- عقد دورات علمية في فقه الاحتساب .
- ١٢- أن يتخصص مجموعات من الشباب وطلاب العلم لهذه القضية لعل الله أن ينفع بهم ويجددون ما أندرس من شعائر الإسلام .
- ١٣- أن يقرأ العالم في درسه الأسبوعي كتاباً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الدرس الأساس . ككتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام ابن تيمية ونحوها من الكتب المفيدة.
- ١٤- تعليق البوسترات التي تتحدث عن الاحتساب وقد طبعت رئاسة الهيئة نموذجاً جميلاً يمكن الاستفادة منه وإعادة طبعه وتوزيعه في المساجد.
- ١٥- الذهاب مع أناس لهم خبرة في الاحتساب ليتعلم الإنسان منهم الأسلوب المناسب وكيفية التعامل مع الناس .
- ١٦- أن يربي الإنسان أولاده على الاحتساب ويعلمهم آدابه ليتدربوا على ذلك .
- ١٧- أن يوصي الإنسان وزوجه وأهله بالاحتساب في القطاع النسائي ويحثهم على ذلك ويشجعهم عليه ويصبرهم على الأذى الذي يأتيهم من جراه .
- ١٨- كتابة تقرير كامل مع تصوير ما يحتاج إلى تصويره عن المنكر وإعداد المادة الشرعية فيه وتسليمها للخطباء والعلماء وطلاب العلم ليقوموا بالإنكار والاحتساب.
- ١٩- التعاون مع مراكز الهيئات في التبليغ والمتابعة والدعم المعنوي والمادي ، واجتهد أن يكون الوصول إلى المركز عن طريق من يتقون فيه منعاً للإحراج .
- ٢٠- توزيع الفتاوى التي تبين أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- ٢١- تفعيل الكتاب الموجودين في البلد للكتابة في الظواهر الخطيرة في المجتمع والتحذير منها وطرح الحلول العملية لعلاجها من خلال الجريدة و المجلة .
- ٢٢- تنسيق برامج في القنوات الفضائية في موضوع الحسبة أو موضوعات فرعية وتقديمها لهم .
- ٢٣- إعداد ملصقات تعالج بعض الظواهر وتوضع في الأماكن المناسبة واقترح أن يتولى هذا الأمر مكاتب الدعوة.

- ٢٤- تفعيل دور أئمة المساجد في الاحتساب في الأحياء .
- ٢٥- المشاركة في برامج البث المباشر في القنوات والإذاعة لطرح بعض المنكرات ومطالبة الزائر بالحديث عنها.
- ٢٦- الاستفادة من رسائل الجوال في التذكير والحث والمتابعة .
- ٢٧- إنشاء مواقع على شبكة الإنترنت متخصصة في الحسبة .
- ٢٨- الكتابة في المنتديات عن أهمية الحسبة ونقل المقالات والخطب والمحاضرات المفيدة إليها .
- ٢٩- إعداد الفلاشات المؤثرة في قضايا الحسبة .
- ٣٠- أن يتحدث المعلم أمام طلابه عن أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويشجعهم عليه .
- ٣١ . إعداد مقاطع بلوتوث عن هذه القضية .
- هذه بعض الأفكار ونأمل المشاركة في طرح الحلول العملية لتفعيل الاحتساب .
- الخاتمة

شعارنا في الحسبة

- لا.. للكلمة الجارحة ..لا للعبارة النابية ..لا للجبين المقطب ..
- نعم للكلمة الطيبة ..نعم للعبارة الحانية ..نعم للبسمة الرائعة .